

الحكمة في شعر محمود سامي البارودي

Wisdom in the Poetry of Muḥmood Sami al Barodi

Dr. Khansa' Muḥammad Dieb al Jaji

Lecturer, Department of Arabic, University of Peshawar, Pakistan

Abstract

Muḥmood Sami al Barodi is a famous poet who was named the Resurrector of poetry in the early times when many poets of the old era were the cause of the decline in poetry. His poems had been studied from many aspects and by many scholars but no one ever spoke about al Barodi's writings about wisdom. This article is focusing on the verses and poems that focus on the meaning of wisdom and everything that relate to it. He talked about the importance of wisdom in the poems as he encouraged the other poets to give attention to this meaning. Some published books and articles helped me write this article but I haven't found any of them that gave this point enough significance though his poetry is full of verses about wisdom and so I chose to write about it..

Keywords: Modern poetry, Muḥmood Sami Albarodi, wisdom.

كلمات مفتاحية: الشعر الحديث، محمود سامي البارودي، الحكمة.

يتناول هذا البحث محاور للحكمة في شعر محمود سامي البارودي الذي يعده كثير من النقاد مجدد ومحيي الشعر في العصر الحديث، وسبب اختياري لهذا الموضوع أن أكثر ما هو متداول من شعر البارودي هو شعره في الغزل والفخر والغربة والشوق إلى الوطن، ولم أجد أحداً من الباحثين أولى أهمية لشعره في الحكمة إلا ما ذُكر سريعاً وعلى هامش الحديث، ودراستي الأولية لديوانه استطعت أن أجد كماً ليس بالقليل من محاور تتضمن حكمة صيغت بأسلوب رشيق تلخص نظرة الشاعر وفلسفته للحياة، لم تكن تلك الأشعار بأقل أهمية في نظري عن تلك الأشعار المشهورة من غزله وفخره وحنينه لوطنه حين غربته، فأردت أن أقدم للقراء والباحثين جانباً جديداً من شعر البارودي يساهم في الوفاء بحق هذا الشاعر علينا.

منهجي في هذا البحث أنني قمت بدراسة الديوان وجمعت الأشعار التي رأيت أن فيها حكمة أو كان للشاعر فيها تجربة ومذهب، ثم حاولت فرز هذه الأشعار حسب مواضيعها، لتتكون عندي محاور موضوعية كلها تدور تحت

قبة حكمة البارودي، وحاولت بذل الجهد في تحليل هذه الآراء وربط بعضها ببعض لتكتمل في ذهن القارئ حكمة البارودي بضمي لهذه الأجزاء المنتثرة مع ما يناسبها جنباً إلى جنب، وحاولت تناول بعض اللمسات الفنية التي ساعدت الشاعر في صياغة أفكاره وكان لها الأثر الكبير في تقبل الناس وترحيبهم بأشعاره.

سبق هذا البحث دراسات كثيرة، مقالات وكتب، تناولت البارودي وشعره بالبحث والتحليل، وقد كانت

مفيدة لي في بحثي هذا بلا شك، وهي كالتالي:

من المقالات وأرتها حسب تاريخ نشرها:

- شعر البارودي في منفاه، لأحمد أحمد بدوي، نُشرت في مجلة الرسالة، العدد ٥٩٧، بتاريخ ١١/١٢/١٩٤٤م.
- شعر الرثاء عند البارودي لد. مصطفى مصطفى البسطويسى عطا، نُشرت في حولىة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، مصر، بتاريخ ١٩٨٩م.
- الفتوة في شعر البارودي، لسميح محمود إسماعيل، نُشرت في مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعة الأردنية، بتاريخ ٢٠٠٣م.
- مظاهر التجديد في شعر محمود سامي البارودي، لصالح علي الجميلي، نُشرت في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية بتاريخ ٢٠٠٧م.

أما الكتب فمما وصلتُ إليه:

- محمود سامي البارودي لعمر الدسوقي، وهو يحتل الجزء الرابع من سلسلة نوايغ الفكر العربي الذي صدر عن دار المعارف في مصر.
- محمود سامي البارودي، لد. علي مُجد الحديدي، وهو جزء من سلسلة أعلام العرب الصادرة عن دار الكتاب العربي، القاهرة، عام ١٩٦٧م.
- فن الزهد في شعر البارودي، لد. مصطفى مصطفى البسطويسى عطا، بتاريخ ١٩٩٨م.
- نقاد البارودي وقراءتان في شعره لد. إبراهيم صبري محمود راشد، مكتبة الآداب، القاهرة، بتاريخ ٢٠٠٦م.

البارودي: هو "محمود سامي (باشا) ابن حسن حسني بن عبد الله البارودي المصري، أول ناهض بالشعر

العربي من كبوته في عصرنا وأحد القادة الشجعان، جركسي الأصل، من سلالة المقام السيفي نوروز الأتابكي نسبه إلى (إيتاي البارود) بمصر، ومولده بالقاهرة ١٨٣٨م،¹ و"تيمّ صغيراً وهو في السابعة من عمره، وتلقى دروسه الأولى في البيت حتى بلغ الثانية عشرة"² ثم "التحق بالمدرسة الحربية ورحل إلى الآستانة³ فأتقن الفارسية والتركية، وله فيهما قصائد،"⁴ ثم عاد إلى مصر حين ألحقه الخديوي إسماعيل بحاشيته لما رأى فيه ما لم يره في غيره،⁵ ليكون بعد ذلك من قواد الحملتين المصريتين لمساعدة تركيا: الأولى في ثورة كريد سنة ١٨٦٨م، والثانية في الحرب الروسية سنة ١٨٧٧م، وتقلب في المناصب انتهت به إلى رئاسة النظار. واستقال. ولما حدثت الثورة العراقية كان في صفوف الثائرين ودخل الإنجليز القاهرة، فقبض عليه وسجن وحكم بإعدامه، ثم أبدل الحكم بالنفي إلى جزيرة سيلان حيث أقام سبعة عشر

عاماً أكثرها في كندي تعلم الإنجليزية في خلالها، وترجم عنها كتباً إلى العربية وكف بصره، وعفي عنه سنة 1899م فعاد إلى مصر.⁶ وتوفي في ديسمبر عام 1904م.⁷

يصفه عمر الدسوقي فيقول: "كان البارودي فارح القامة، حنطي اللون، كث الشاربين، عسلي العينين، كستنائي الشعر، وكان مظهره على الجملة يعطيك صورة فارس من فرسان العرب الأقدمين."⁸ ويرى شوقي ضيف أن عنصره الشركسي أثره حدة في المزاج وطموحاً واسعاً وميلاً إلى حياة الحرب والفروسية. وإلمامه بثقافات عديدة وعنصر آخر كان له أعمق الأثر في تكوينه وهو عنصر البيئة المصرية التي اضطرب في مشاهدتها الطبيعية وأحداثها القومية والسياسية.⁹

ثقافته وخلفيته الأدبية: يرى أستاذ البارودي وصديقه الشيخ حسين المرصفي أن البارودي لم يقرأ كتاباً في فن من فنون العربية، غير أنه لما بلغ سن التعقل، وجد من طبعه ميلاً إلى قراءة الشعر وعمله، فكان يستمع إلى بعض من له دراية، وهو يقرأ بعض الدواوين، أو يقرأ بحضرتة، حتى تصور في برهة يسيرة هينات التراكيب العربية، ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات حسبما تقتضيه المعاني، والتعليقات المختلفة، فصار يقرأ، ولا يكاد يلحن. ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب، حتى حفظ الكثير منها دون كلفة، واستثبت جميع معانيها، ناقداً شريفها من خسيسها، وافقاً على صوابها وخطئها.¹⁰ ود. علي الحديدي يناقض هذا الرأي ويرى أن البارودي قد اكتسب قواعد اللغة تعليماً لا سليقة، ذلك أنه قرأ من كتب اللغة: الأجرومية وشرحها، ومتم البناء والمقصود في الصرف، والكفراوي وشرحه، وجبله الصرف وغيرها من كتب الأدب وشعر الأقدمين.¹¹

ويولي علي مُجَّد الحديدي أهمية لاطّلاع الشاعر على الثقافتين التركية والفارسية فضلاً عن العربية وتأثير ذلك على شعره فيقول: "البارودي أول الشعراء المثقفين في العصر الحديث، نال حظاً من الدراسة المعهدية والحربية وتعلم اللغتين التركية والفارسية واطّلع على آدابهما، ونظم بهما، وقضى ثمانية أعوام بالآستانة ينهل من معين الثقافة التركية ويتزود بالتجربة يبحث عن دواوين الفحول من الشعراء في مكتبات الآستانة، وينسخ ما يستطيع من مخطوطاتها، ويعود بها إلى مصر ليستكمل تكوينه الفني على النمط الطبيعي السليم."¹²

آراء النقاد في البارودي وشعره:

يصف شوقي ضيف مولد البارودي بقوله: "ولد الشاعر الفذ الذي كانت تبحث عنه في الأقاليم العربية منذ المتنبي والشريف الرضي ويُعيبها البحث ويُضنيها. ولد محمود سامي البارودي الذي سبعت الشعر العربي من سباته الطويل ويخلص عنه ثيابه البالية من البديع وغير البديع، ويرد إليه الحياة والنشاط، فيصبح شعراً ممتعاً يغذي القلب والشعور، ويمنح قارئه لذة فنية حقيقية."¹³

البارودي شاعر السيف والقلم،¹⁴ وهو بالاتفاق رائد حركة التطور في الشعر العربي الحديث¹⁵ فد. هيكل يؤكد أن رسالة البارودي "لم تكن تجديد الشعر العربي في حياته المتدفقة الفياضة، بل كانت بعث الشعر العربي من مرقد، وتمزيق الأكفان التي احتوته مئات السنين، وما وُفق له البارودي من هذا البعث لا يزال حتى اليوم أعظم تجديد في حياة الشعر العربي منذ نَحْض البارودي به"¹⁶

ويقرر العقاد أن البارودي لم يكن أسبق الشعراء المحدثين إلى التجديد على العموم، ولكنه فيما نرى كان أسبقهم إلى التجديد الذي يجمع بين إحياء سنة السلف، وبين الاحتفاظ بالطابع الشخصي القوي، حتى في مقام المعارضة والمحاكاة.¹⁷

نشأ البارودي في عصر كان الشعراء آنذاك قد أغرقوا الشعر في تجارب نمطية محفوظة، وجعلوه أداة للتباهي والتعاري المكرورة الباردة، ووسيلة للتأريخ من خلال (حساب الجمل)، ومعرضاً للألايب الفارغة والتمارين الرياضية والهندسية المعقدة، فانحرفوا به عن طبيعته الروحية السامية، ومسخوا بعده الوجداني ودوره الإنساني الأصيل.¹⁸

ومن الطريف قول د. إيمان بقاعي عنه أنه: "بدأ نظم الشعر العربي في الوقت الذي كان فيه أبناء زمانه من المصريين يتحدثون بالعامية لأنهم لا يحسنون الحديث باللغة العربية"¹⁹ في حين كانت الصحف الأدبية تتسابق إلى نشر شعره وقد بلغ به الزعامة والإمارة بين الشعراء في البلاد العربية، وكانت الصحيفة التي ينحسها البارودي بمقطوعات من شعره تدل على زميلائها وتفخر، وتضفي العنوانات الضخمة على القصائد التي تنشرها.²⁰ وكان أكثر ما يستهويه ويستولي على لبه أشعار الحماسة والبطولة والقوة، وشعر الحكمة فتمثلها وأصبحت جزءاً من نوازع نفسه.²¹

ويرى د. مصطفى مصطفى البسطوي عطا أن شعره جاء متمسماً بالسمات التي اتسم بها الشعر العربي في العصور الأدبية الزاهرة، كما تأثر فيه بكبار الشعراء العرب الذين حفظ ووعى كثيراً من أشعارهم فجاء شعره متمسماً بقوة الأسلوب، وروعة التصوير، والدقة في اختيار الألفاظ، وانتقاء العبارات، والبعد عن التعقيد والألفاظ الغامضة، كما استطاع أن يباعد بين شعره وبين المحسنات البديعية المتكلفة، ولذا استحق أن يوصف بزعامته للشعر العربي في العصر الحديث.²²

ويفتتح د. محمد حسين هيكل تقديمه لديوان الشاعر بقوله: "شعر البارودي حياته، فكل قصيدة في ديوانه صورة لحالة نفسية من حالات هذه الشاعر الملهم، والديوان في مجموعته صورة للعصر الذي عاش فيها، وللبيئة التي أحاطت به، وللنهضة المتوثبة في الحياة حوله، وللتورة التي تمحضت عنها تلك النهضة، وللنكسة التي أصابت النهضة والثورة كليهما، والتي نقلت الشاعر من وطنه إل منفاه ليقيم به سبعة عشر عاماً وبعض عام، يستأثر الشعر بها جميعاً"²³

والبارودي حسب ما يراه شوقي ضيف هو أول المجددين في الشعر العربي الحديث، وهو تجديد كان يقوم عنده على أصلين: بعث الأسلوب القديم في الشعر بحيث تعود إليه جزالته ورسالته، وتصوير الشاعر لنفسه وقومه وبيئته وعصره تصويراً مخلصاً صادقاً.²⁴ وفي معرض تقييمه لمختارات البارودي من أشعار العرب يقول الباحث محمد رفعت أحمد زنجير: "إن مختارات البارودي قد جاءت لتسد ثغرة في حياتنا الأدبية في القرن العشرين، وقد أصبحت رافداً أدبياً للدارسين والباحثين والقراء في عصرنا، وهي تدل على سعة ثقافة البارودي، ونفاذه إلى أعماق التراث العربي، في وقت كانت الأمية فيه سائدة، فهو بحق باعث نهضة الشعر في العصر الحديث."²⁵

والشعر لم يكن حرفة يمارسها البارودي في وقت، وينفض يده منها في وقت آخر، ولم يكن قناعاً يظهر به للناس، ثم يخلعه حين يخلو إلى نفسه، وإنما كان الشعر بالنسبة للبارودي لغة حياته في السر والعلن، وفي الاجتماع والافتراد.²⁶

وقد استطاع البارودي بموهبته المتألقة، وبعبقريته المتوهجة أن يفصل بين عهدين في الشعر العربي الحديث، وأن يخطّ للشعراء من بعده طريق التطور الذي يجعل من الشعر رسالة تعبر عن الحياة، ولا تنفصل عن ذات الشاعر، في إطار الأصالة والحفاظ على القيم النبيلة وظواهر الجمال التي تستمدّها اللغة العربية من معين لا ينضب، ومنهل عذب لكل من امتاح منه، وكان يملك موهبة أصيلة في الإبداع.²⁷

الحكمة في شعر البارودي:

تتفرع الحكمة في شعر البارودي لمخاور عديدة، وكلها تنطلق من نظرة الشاعر للحياة بحسب ما مر في حياته من تجارب ومواقف، وقد صنفتُ أشعاره بحسب موضوعها في المخاور التالية:

المخور الأول: اهتمام البارودي بالحكمة وقناعته الشخصية بأهميتها في الحياة:

فتراه واثقاً بنفسه وفكره وحكمته، ولا يصيبه ندم على ما مضى من حياته وهو لا يفهم إنكار قومه لهذا الأمر، مع أن حكمه وأمثاله تسري في حياتهم، فيقول:

راجعت فهرس آثاري فما لمحت
بصيرتي فيه ما يُزري بأعمالي
فكيف ينكر قومي فضل بادرتي
وقد سرت حكمي فيهم وأمثالي²⁸

وهو يرى نفسه أهلاً لإعطاء النصيحة بسبب فكره الثاقب ففي قصيدة بعد إسداء النصح لأهله بالمطالبة بحقوقهم وعدم التهاون في ذلك والتدبير وعدم العجز يقول لهم:

هذي نصيحة من لا يبتغي بدلاً
بكم وهل بعد قوم المرء من بدل
أسهرت جفني لكم في نظم قافية
ما إن لها في قديم الشعر من مثل
لنصل إلى قوله:

حولية صاعها فكر أقرّ له
بالمعجزات قبيل الإنس والخيل²⁹

فهو يؤكد أنه لن يجد لنفسه بديلاً عن قومه، ثم يبين لهم تبعه وجهده في نظم قصائده التي ينفق فيها حوالاً من عمره ليقدم لهم زبدة فكره الذي يدين له الإنس والجن.

وهو يرشد الشعراء للاهتمام بالحكمة في أشعارهم، ولعل ذلك لما يؤمن به من أهمية الشعر ومنزلته في النفوس وأثره البالغ فيها، ويذم من جعل الشعر وسيلة للمدح والهجاء، ونراه يختم أبياته التالية بنصيحة للشاعر بأن ينشد شعره قبل تقديمه للناس ليتأكد أن قوله صائب ويشبه الكلمة كالسهم يُنسب لراميه، فيقول:

الشعر زين المرء ما لم يكن
وسيلة للمدح والذم
قد طالما عز به معشر
وربما أزرى بأقوام
فاجعله فيما شئت من حكمة
أو عظة أو حسب نامي
واهتف به من قبل إطلاقه
فالسهم منسوب إلى الرامي³⁰

ويقول: إن من الحكمة البليغة للروح غذاء كالطبخ للأجساد³¹

وهو هنا يشبه الحكمة كالغذاء للروح وكالطبخ للأجساد.

المخور الثاني: الحكمة في النظرة للحياة والموت وللدهر وتقلباته:

لعل أشعار البارودي فيما يتعلق بتصاريق القدر من أبرز ما احتوى ديوانه، وقد يكون السبب في ذلك ما كانت عليه حياته من تنقلات وتغيرات بشكل دائم، ولو نظرنا إلى حياته فهي تمور وتتقلب من سفر وترحال ومشاركات في المعارك وتقلب في الوظائف الحكومية من قائم مقام إلى رئيس الوزراء إلى الاشتراك بالثورات إلى أن استقر المقام به في منفاه البعيد لسبعة عشر عاماً، وهي الفترة الزمنية التي هدأت فيها الأحداث حوله، وامتد به العمر وهو بعيد عن وطنه وقومه، ولكن قلبه كان دائم الاشتغال والانشغال بأهله ووطنه، ولا بد أن هذا كله كان عاملاً مساعداً فيما أتخفنا به من هذه الأشعار، وأهم مبدأ يعيش به الإنسان هو الاعتماد على الله والرضا بقضائه، وفي ذلك يقول:

إذا المرء لم يركن إلى الله في الذي يحاذره من دهره فهو خاسر

وإن هو لم يصبر على ما أصابه فليس له في معرض الحق ناصر³²

ويقول عن من يقضي عمره يسبُّ الدهر ولا ينظر إلى أفعال نفسه وهمود همته:

أرى كل حي يظلم الدهر جهده ولست أرى للدهر في عمل ذنبا

إذا ساء صنع المرء ساءت حياته فما لصروف الدهر يوسعها سباً؟³³

وهو يشبه الليالي بالعقارب والدهر بالدتب ويحذر من التهاون في نظرنا لهما، ويذكر في الوقت نفسه بأن المعطي والمنع هو الله عز وجل، فيقول:

ألا إنما هذي الليالي عقارب تدب، وهذا الدهر ذئب مخادع

فلا تحسبن الدهر لعبة هازل فما هو إلا صرفه والفجائع

فلا تقعدن للدهر تنظر غبه على حسرة فإله معطي ومانع³⁴

أما الموت فله معه وقفات خاصة، ومن ذلك قوله:

لعمرك ما حي وإن طال سيره يعد طليقاً والمنون له أسر

وما هذه الأيام إلا منازل يحل بها سفر ويتركها سفر

فلا تحسبن المرء فيها بخالد ولكنه يسعى وغايته العمر³⁵

ويقول:

إنما المرء صورة سوف تبلى وانتهاء العمران بدء الخراب³⁶

ويقول:

وكيف يعيش المرء في الدهر آمناً وللموت فينا وثبة الليث والنمر

وما أحسب الأيام تصفو لعاقل ولكن صفاء العيش للجاهل العُمر

سعيث فأدركت المنى في طلابها وكل امرئ في الدهر يسعى إلى أمر³⁷

ويخاطب المغرور المشغول بديناه بقوله:

يا أيها السادر المزور من صكف مهلاً فإنك بالأيام منخدع

دع ما يريب وخذ فيما خلقت له لعل قلبك بالإيمان ينتفع

إن الحياة لثوب سوف نخلعه وكل ثوب إذا ما رثَّ ينخلع³⁸

- ويوافق هذا قوله في موضع آخر:
- فإياك والدنيا فإن نعيمها
يزول وملبوس الجديدين يخلُّ
- وما الدهر إلا مستعد لوثة
فحذرك منه فهو غضبان مطرُق³⁹
- ويشبهه الشاعر الدهر في تقلباته بالدولاب فيقول:
- فالدهر كالدولاب يخفض عالياً
من غير ما قصد ويرفع سافلا⁴⁰
- أو هو رام للنبال فيقول:
- فما الدهر إلا نابل ذو مكيدة
إذا نرعت كفاه في القوس لم يُشَوِّ
- فخذ ما صفا من وده قبل فوته
فليس بباقي في الوداد على الصفوِّ
- إلا إنما الأيام دولاب خدعة
تدور على أن ليس من ظمئ تروي
- فبينما تُرى تعلقو على النجم رفعة
بمن كان يهواها إذ انقلبت تهوي⁴¹
- ويقول مشبهاً مرة أخرى الدهر برامي النبال:
- فما العيش إلا ساعة تنقضي
وذا الدهر فينا مولع برماء
- ولا تحسبن المرء يبقى مخلداً
فما النقص إلا بعد كل نماء⁴²
- وفي المعنى نفسه يقول:
- ليت الشباب لنا يعود بطيبه
ومن السفاه طلاب عمر قد مضى
- والشيب أكمل صاحب لو أنه
يبقى، ولكن لا سبيل إلى البقا
- والدهر مدرجة الخطوب فمن يعيش يهرم ومن يهرم يعث فيه البلى
- فاذهب بنفسك عن متابعة الصبا
وارجع لحلمك، فالأمور إلى انتها⁴³
- وهو يتحسر على ما فوته من شبابه، فيقول:
- سعيت فأدركت المني غير أنني
أضعت شبابي في سبيل طلايي
- فما تنفع الدنيا وإن نلت كل ما
تمنيت منها بعد فقد شبابي⁴⁴
- ومن الحمق الظن بالخلود في هذه الدنيا فيقول في ذلك: يرجو الفتى في الدهر طول حياته
ونعيمه، والمرء غير مخلد⁴⁵
- ويقول:
- يود الفتى ما لا يكون طماعة
ولم يدر أن الدهر بالناس قلب
- ولو علم الإنسان ما فيه نفعه
لأبصر ما يأتي وما يتجنب
- ولكنها الأقدار تجري بحكمها
علينا، وأمر الغيب سر محجب
- نظن بأننا قادرون، وإنما
نقاد كما قيد الخبيب ونصح⁴⁶
- ويجمل نظرتة بكلمة شاملة بقوله:
- إنما الدنيا خيال
باطل سوف يفوت

ليس للإنسان فيها غير تقوى الله قوت

ومن حكمته في نظرتة للدهر وللأخوة قوله:

كذاك الدهر ملاق خلوب يغرّ أخا الطماعة بالكذاب
فلا تركزن إليه، فكل شيء تراه به يقول إلى ذهاب
وعش فرداً، فما في الناس خل يسرك في بعاد واقتراب
حلبت الدهر أشطره ملياً وذقت العيش من أري وصاب
فما أبصرت في الإخوان ندباً يجل عن الملامة والعتاب
ولكننا نعايش من لقينا على حكم المروءة والتغابي⁴⁸

وقد يظهر لنا الشاعر في موضع آخر كأنه غير مبالي ويدعو إلى الانغماس بملذات الدنيا وليأخذ منها ما تشتهي نفسه وما تسمح له دنياه به، إلا أنه مع ذلك يختم أبياته بعدم القنوط من رحمة الله وغفرانه، فيقول:

فخذ لنفسك من دنياك ما سمحت به إليك وكن منها على حذر
وسالم الدهر تسلم من غوائله فصاحب الشر لا ينجو من الكدر
لا يبلغ المرء ما يهواه من أرب إلا بترك الذي يخشاه من ضرر
فانعم وطب واله واطرب واسع واعل وسد واشرب وغنّ وته والعب وهم وطبر
لا يقنط المرء من غفران خالقه مالم يكن كافراً بالبعث والقدر⁴⁹

اخور الثالث: حكمته فيما يتعلق بنظرتة للحب: اشتهرت أشعار البارودي الغزلية وكانت في كثير من الأحيان تعيد إلى أذهان قارئها الغزل في العصور الأدبية الزاهرة السابقة، وفيما يفيدنا في بحثنا هذا هو الحكمة التي تحصلت للشاعر بعد تجاربه الكثيرة التي سجلها في أشعاره، والأبيات التالية تبين لنا الحكمة التي أراد لنا الشاعر أن نستفيد منها في نظرتنا للحب، وهي حافلة بتشبيهات رائعة ترسم صورة دقيقة تدل على صدق الشعور والتجربة الشخصية، يقول فيها:

وما الحب إلا حاكم غير عادل إذا رام أمراً لم يجد من يصدّه
له من لفيف الغيد جيش ملاحه تغير على مثنوى الضمائر جنده
ذوابله قاماته، وسيوفه لحاظ العذارى، والقلائد سرده
إذا ماج بالهيف الحسان، تأرجت مسالكة، واشتق في الجو نده
فأفي فؤاد لا تذوب حصاته غراماً، وطرف ليس يقذبه سهده
بلوث الهوى حتى اعترفت بكل ما جهلت، فلا يغرك فالصاب شهده
ظلوم له في كل حي جريفة يضح لها غور الفضاء ونجده
إذا احتل قلباً مطمئناً تحركت وسواسه في الصدر، واختل وكده
فإن كنت ذا لب فلا تقرّبته فغير بعيد أن يصيبك حده
وقد كنت أولى بالنصيحة لو صغا ولكن خالف الحزم قصده

إذا لم يكن للمرء عقل يقوده
ويكمل حكمته بقوله في موضع آخر:
50 فيوشك أن يلقي حساماً يقده
إذا لم يكن بين المحبين وصلة
وإن وداد القلب مالم يكن له
وهو يحذر من النظرة لما يتبعها من ألم، فيقول:

ويسلم أنفس الأبطال سيفي
ولنختم هذا المحور بتلخيص لمعنى الحب عند البارودي وتشبيهه الطريف بالكهرباء، مع أنه قال إنه لا يجري عليه مثال، وذلك في قوله:

الحب معنى لا يحيط بسره
كالكهرباء دركها متعذر
وصف ولا يجري عليه مثلاً
ونسيمها متحدر سيلاً
وكذلك الأرواح يظهر فعلها
وحكم تملكها الغموض فلم يحط
53 برموزها في العالمين مقالاً

المحور الرابع: آيات فيها من الحكمة ما يدعو إلى التحلي بمحاسن الأخلاق والتنفير من مساوئها:

فهو يقول في الحث على الإنفاق والتشجيع على البخل والجبن وأنها منقصة في حق الإنسان:
جُدْ بالنوال فزرق الله متصل
فالبخل والجبن في الإنسان منقصة
ولا تكن عن صنيع الخير باللاهي
لم يجنحها غير سوء الظن بالله⁵⁴

وينبغي أن يكون البخل صفة للسيد، ويقرر أن العظمة لا تكون بما تملك من مال بل بما تنفق منه وتبذله:
لعمرك ما يُدعى الفتى بين قومه
ولن يلبث المرء الضنين بماله
بذي كرم حتى يكون كريماً
فليس الفتى من حاز مالاً وإنما
فتى القوم من أغنت يداه عديماً
وهذا يوافق قوله في مكان آخر حيث يقول:
فجُرِّ بين ما تختار في الفعل والتمس
لنفسك حظاً كي تكون عظيماً⁵⁵

إذا المرء لم ينفق من المال وسع ما
دعته المعالي فالثراء هو الفقر⁵⁶
وفي عدم قبوله للذل ولما ينقص من منزلته ويغض منها، يقول:

عيش الفتى في فناء الذل منقصة
والموت في العز فخر السادة النبيل⁵⁷
ويقول:

ألا إن أخلاق الرجال وإن نمت
وقار بلا كبير وصفح بلا أذى
فأربعة منها تفوق على الكل
وجود بلا مٍ وحلم بلا ذل⁵⁸

ويحث على التحلي بالحلم والصبر وعدم الرضا بالذل والبعد عن الجبن، ويبين عاقبة من اتصف بها فيقول:
إن لم يكن للفتى فضل ومحمية
فإن وجدانه في أهله عدم

- فالحلم ما لم يكن عن قدرة خوّر والصبر في غير مرضاة العلا ندم
فارغب بنفسك عن حال تضام بما فليس بعد أطراح الذل ما يصم
ولا تحف ورد موت أنت وارده من أخطأته الرزايا غاله الهرم
إن العلا أثر تحيا بذكرته أسماء قوم طوى أحسابها القدم⁵⁹
- وللشاعر نظرته المتشائمة للعلاقات البشرية والصدقة والوفاء، ففي كثير من أشعاره نرى أنه يشكو من قلة أو انعدام الوفاء في علاقاته، فهو ينفي وجود الوفاء حقيقة ويراه محض رياء، فيقول:
- كيد الغي مساءة لضميره ولمن يحاول كيده إرضاء
والناس أشباه، ولكن فرقت ما بينهم في الرتبة الآراء
والنفس إن صلحت زكت وإذا خلت من فطنة، لعبت بما الأهواء
لو لم يكن بين الرجال تفاوت ما كان فيهم سادة ورعاء
ولقد بلوت الناس في أطوارهم ومليت حتى ملني الإبلاء
فإذا المودة خلة مكدوبة بين البرية، والوفاء رياء
كيف الوثوق بذمة من صاحب وبكل قلب نقطة سوداء
لو كان في الدنيا وداد صادق ما حال بين الخلتين جفاء
فانفض يدك من الزمان وأهله فالسعي في طلب الصديق هباء⁶⁰
ويقول:
- لقد ذل من يبغي من الناس ناصراً وقد خاب من يجني من الأرقم الشهدا
فلا تحسبن الناس أبناء شيمه فما كل ممدود الخطا بطلا جعدا⁶¹
- وهو يحذر من الاطمئنان للناس والتسليم لهم ويلح كثيراً على عدم الثقة بهم، ويخص منهم الوشاة والحاقدين، فيقول:
- لا تحلّ نمة الوشاة صلاحاً فهي داء تدوى به الحوباء
ومن الناس من تراه سليماً وبه للحقود داء عياء
فاحذر الناس ما استطعت فإن الناس إلا أقلهم أعداء⁶²
فلذلك يقول :
- ليس يرعى حق الوداد، ولا يذ كر عهداً إلا كريم النصاب⁶³
وهو يتحسر على قلة هؤلاء في هذه الحياة فيقول:
- وأشد ما يلقي الفتى في دهره فقد الكرام، وصحبة اللؤماء
شقي ابن آدم في الزمان بعقله إن الفضيلة آفة العقلاء⁶⁴
- وللبارودي في الحث على علو الهمة وطلب المجد، أشعار كثيرة ومنها قوله:
- ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب⁶⁵

من صاحب العجز لم يظفر بما طلبا
لا يدرك المجد إلا من إذا هتفت
فأركب من العزم طرفاً يسبق الشهباً
به الحمية هز الرمح وانتصبا
ثم يقرر أن الشجاع مقدام لا يخاف، ومن جاد بنفسه وألقى بها في المخاطر لن يضمن ببذل ما تملكه كفاه من
مال ونشب:

فاحمل بنفسك تبلغ ما أردت بما
ووجد بما ملكت كفاك من نَشَبٍ
فالليث لا يهرب الأخطار إن وثبا
فالجود كالبأس يحمي العرض والنسبا
من جاد بالنفس لم يبخل بما كسبا⁶⁶
ولمن يريد الوصول إلى هدفه عليه برأي البارودي في قوله:

وما كل ساعٍ بالغ سؤل نفسه
ولا كل طلاب يصاحبه الرشد
إذا القلب لم ينصرك في كل موطن
فما السيف إلا آلة حملها إدّ
إذا كان عقي كل شيء وإن زكا
فمكروهه الفناء هو الخلد
وتخليد ذكر المرء بعد وفاته
وفيم يخاف المرء سورة يومه
وفي غده ما ليس من وقعه بد⁶⁷
ويقول:

ومن تكن العلياء همة نفسه
أما الصفح والمسامحة والرفق من غير ضعف ولا خور، فيقول فيها:
فكل الذي يلقاه فيها محبب⁶⁸
وليس يسود المرء إلا بحلمه
على قومه والصفح عن كل مذنب⁶⁹
ويقول:

كرم الطبع شيمة الأمجاد
ولكنه مع ذلك يتعجب من ود بعد غدر فيقول:

وكيف يصح بعد الغدر ود
وتسلم نية بعد ارتياب⁷¹
ويرى الرفق هو السبيل الأقوم للحصول على مراده، فيقول:

ترفق فإن الرفق زين، وقلما
ينال الفتى بالعنف ما كان طالبا
إذا لم يكن للمرء عقل يرده
إلى الحلم لم يبرح مدى الدهر عاتبا
وإن هو لم يصفح عن الخلل إن هفا أقام وحيداً، أو قضى العمر غاضباً⁷²
وهذا يكمل نظرتة لعدم وجود أخ وفي لكن يعاشر الناس بالمروءة فيقول:

ومن لم يدار الناس عاداه صحبه
وأنكره من قومه من يسوده⁷³

والحكمة في اتباع الرأي السديد، وعدم موافقة الهوى:

وحسب الفتى من رأيه خير صاحب
إذا لم يكن للمرء من بدهاته
يوازره في كل خطب يفوده
نصير، فأخلق أن تحبب جدوده⁷⁴

- 75 ويقول: إذا المرء لم يُفّر الأمور بعلمه
ومن العقل: حسن التدبير فيقول:
تخير ما بين اختلاف المذاهب
- 76 قد يدرك المرء بالتدبير ما عجزت
هيئات ما النصر في حد الأسنة بل
ومن العقل والرشد: حفظ السر فيقول:
عن الكمأة ولم يحمل على بطل
بقوة الرأي تمضي شوكة الأسل
- 77 رأيت عدو نفسي من حبيبي
فلأ تأمن على سر صحاباً
فإنهم جواسيس العيوب
ويقول:
لم تعلم وخير القول أبقى
فلا تأمن على سر حبيباً
ومن العقل: مخالفة الهوى، فيقول:
بما يكون فعقبى أمره ندم
ومن أطاق هواه غير مكترث

الخاتمة:

تناول بحثي هذا محاور الحكمة في شعر محمود سامي البارودي، وقد افتتحت البحث بتقديم وجيز للشاعر ونشأته وحياته وثقافته، ثم عرّجت على آراء النقاد بشعره وإجماعهم على أنه مجدد الشعر العربي في العصر الحديث، ثم صنفت الأبيات المختارة من ديوانه بحسب موضوعاتها المتعلقة بالحكمة وكانت بناء على ذلك أربعة محاور كما وردت على التوالي: ثقة الشاعر بحكمة نفسه وافتخاره بذلك، ثم حثه الشعراء على الاهتمام بالحكمة في أشعارهم لما يعتقدونه من أثر كبير للشعر في قلوب الناس وعقولهم، أما المحور الثاني فهو محور طويل نسبياً مقارنة بما سبقه، وهو يدور حول حكمة الشاعر في نظريته للحياة والموت وللدهر والقضاء وتقلباته، والمحور الثالث يتعلق بنظرة الشاعر للحب وهذا يظهر فيه صدق التجربة عنده وتشبيهات متلاحقة، ثم اختتمت المحاور بمحور أيضاً لم يكن قصيراً وشمل الحكمة التي يدعو فيها الشاعر إلى التحلي بالأخلاق الحسنة والابتعاد عن السيئة، ومن ذلك الكرم والبذل والحلم والصبر والعزة والأنفة وعدم قبول الذل واجتناب الجبن. ولعل أهم المحاور التي وردت في بحثي هذا: المحور الثاني والرابع، فقد حفل الديوان بهذه الأبيات التي تتناول هذين المحورين واستخدم الشاعر كثيراً من التشبيهات وكرر بعض القيم وركز عليها لما لها من أهمية قصوى عنده، وهكذا فاستطيع في خاتمة بحثي هذا أن أقول: إن جانب الحكمة في شعر البارودي قد احتل مكانة كبيرة وواسعة في ديوانه وهو ما تجاهله أو غفل عنه كثير من الباحثين.

والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

References

- 1- خير الدين بن محمود بن مُجَّد بن علي بن فارس الزركلي دمشقي، الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م) ط، ١٥، ج٧، ص ١٧١.
- Khair al Din bin Maḥmood, *Al A 'alām*, (Beirut: Dār Al 'elm le al Malayeyn, 2002), 7:171
- 2- عمر الدسوقي، محمود سامي البارودي، الجزء الرابع من سلسلة نوايغ الفكر العربي، (مصر: دار المعارف، ١٩٥٣م) د. ط، ص ٢٢.
- Maḥmood Samy al Baroudy, *Al Juz' al Rab' Min silsilat nawabigh al Beirut: Dār al Fikar al 'araby*, (Egypt: Dār al Ma'arif, 1953), 22
- 3- الأستانة: تُعرف حالياً بإسطنبول، وهي أكبر مدينة في تركيا.
- Al āstanah: Known as Istanbul Nowadays and It's biggest city of Turkey
- 4- الزركلي، الأعلام، ١٧١/٧.
- Al Zarkali, *Al A 'alām*, 7:171
- 5- عمر الدسوقي، محمود سامي البارودي، ص ٢٣.
- 'umar al Dasooqy, *Maḥmood Samy al Baroudy*, 23
- 6- الزركلي، الأعلام، ١٧١/٧.
- Al Zarkaly, *Al A 'alām*, 7:171
- 7- عمر الدسوقي، محمود سامي البارودي، ص ٢٥.
- 'umar al Dasooqy, *Maḥmood Samy al Baroudy*, 25
- 8- المصدر نفسه، ص ٢٦.
- Ibid., 26
- 9- شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، (مصر: دار المعارف، ٢٠٠٦م) ط، ٦، ص ٨٦.
- Showqy ḍayf, *Al 'adab al 'araby al mu'aşir fi mişar*, (Egypt: Dār al Mu'arif, 6th Edition, 2009), 86
- 10- انظر: عمر الدسوقي، محمود سامي البارودي، ص ٣٠، نقلاً عن: حسين المرصفي، الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، ص ٤٧٤.
- 'umar al Dasooqy, *Maḥmood Samy al Baroudy*, 30
- 11- علي الحديدي، محمود سامي البارودي شاعر النهضة، (مكتبة الأنجلوالمصرية، ١٩٩٠م)، د. ط، ص ١١.
- 'Ali al Ḥadydy, *Maḥmood Samy al Baroudy*, (Egypt: Maktabad al 'anjluw al Mişriyyah, 199), 11
- 12- المصدر نفسه، ص ١٠.
- Ibid., 10
- 13- شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ٨٣.
- Showqy ḍayf, *Al 'adab al 'araby al mu'aşir fi mişar*, 83
- 14- فؤاد حمدو الدقس، محمود سامي البارودي، الجزء الثالث من شخصيات أدبية في سلسلة تاريخ أدباء العربية، مراجعة: أحمد عبد الله فرهود، (حلب: دار القلم العربي، ١٩٩٧م) ط، ١، ص ٣.
- Fo'ad Ḥamdow al daqs, *Maḥmood Samy al Baroudy, Al Juz al Thalith min Shakhşiyat 'adabiyyah fi silsilat tarykh 'adba' al 'arabiyyah*, (Aleppo: Dār al Qalam Al 'araby, 1st Edition, 1997), 3

- 15 - علي نُجْد الحديدي، محمود سامي البارودي، الجزء الخامس والستون من سلسلة أعلام العرب، (القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م) د.ط، ص ١١.
- 'Ali Muḥammad al Ḥadydy, Maḥmood Samy al Baroudy, *Al Juz' al Khamis wa al sitton min silsilat A'alām al 'arab*, (Cairo: Dār al Katib al 'araby le al tībā'ah wa al nashar, 1967), 11
- 16 - محمود سامي البارودي، ديوان البارودي، (بيروت: دار العودة، ١٩٩٢م)، د.ط، المقدمة، ص ٢٢.
- Maḥmood Samy al Baroudy, *Dywan al Baroudy*, (Beirut: Dār al 'awdat, 1992), 22
- 17 - إبراهيم صبري محمود راشد، نقاد البارودي وقراءتان في شعره، (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٦م) ط، ١، ص ١٣.
- Ibrahym Ṣabry Maḥmood Rashid, *Nuqqad al Baroudy wa Qir'atan fi sh'erihi*, (Cairo: Maktabah al ādab, 1st Edition, 2006), 13
- 18 - مختارات من شعر محمود سامي البارودي ونماذج من معارضاته ونثره، اختارها وشرحها: د. حسن طالب، وتقديم: أحمد عبد المعطي حجازي، من منشورات المجلس الأعلى للثقافة في مصر بمناسبة مؤتمر البارودي بعد مائة عام، ٢٠٠٤م، ط، ١، ص ٦.
- Dr. Ḥasan Ṭalib, *Mukhtarat min sh'ery Maḥmood Samy al Baroudy*, (1st Edition, 2004), 6
- 19 - محمود سامي البارودي والشعر (٢)، د. إيمان بقاعي، مقالة من جزئين في باب: دراسات ومقالات نقدية وحوارات أدبية، في شبكة الألوكة على الانترنت، بتاريخ: ١٠ / ٦ / ٢٠١٤م.
- Dr. 'eyman Baqa'y, *Maḥmood Samy al Baroudy wa al sh'er*,
- 20 - علي الحديدي، محمود سامي البارودي، ص ٧.
- 'Ali al Ḥadydy, *Maḥmood Samy al Baroudy*, 7
- 21 - مصطفى مصطفى البسطوي عطا، فن الزهد في شعر البارودي، (مصر: دار الجيار، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) د.ط، ص ١٦.
- Mustafa al Buṣṭawaisy 'aṭa, *Fan al Zahid fi sh'er al Baroudy*, (Egypt: Dār al Jiyad, 1998), 16
- 22 - المصدر نفسه، ص ١٦.
- Ibid., 16
- 23 - ديوان البارودي، ص ٨.
- Dywan al Baroudy*, 8
- 24 - شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ٩١.
- Showqy ḍayf, *Al 'adab al 'araby al mu'aṣir fi miṣar*, 91
- 25 - التشبيه في مختارات البارودي، رسالة معدة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد من قبل الباحث: نُجْد رفعت أحمد زنجير، إشراف: د. عبد اللطيف خليف، من كلية اللغة العربية في جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٤٨٤.
- Muḥammad Rif'at Aḥmad, *Al Tashbyh fi Mukhtarat al Baroudy*, (KSA: 1995), 484
- 26 - مختارات من شعر محمود سامي البارودي ونماذج من معارضاته ونثره، ص ٣.
- Mukhtarat min sh'ery Maḥmood Samy al Baroudy wa Namadhij min mu'aridatih wa nathrih*, 3

- 27- مصادر دراسة محمود سامي البارودي، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف: د. مُجّد مصطفى هدارة، صدر هذا الكتاب بمناسبة توزيع جوائز مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في دورتها الثالثة: دورة محمود سامي البارودي في أكتوبر ١٩٩٢م، ص ٥.
- Group Of Research Scholars, *Maşadir Dirasah Maḥmood Samy al Baroudy*, 5
- 28- ديوان البارودي، ص ٢١٨.
- Dywan al Baroudy*, 218
- 29- المصدر نفسه، ص ٢١١.
- Ibid., 211
- 30- المصدر نفسه، ص ٢٦١.
- Ibid., 261
- 31- المصدر نفسه، ص ١٥٦.
- Ibid., 156
- 32- المصدر نفسه، ص ١٣٠.
- Ibid., 130
- 33- المصدر نفسه، ص ٦٣.
- Ibid., 63
- 34- المصدر نفسه، ص ١٧٣.
- Ibid., 173
- 35- المصدر نفسه، ص ١٢٢.
- Ibid., 122
- 36- المصدر نفسه، ص ٤٣.
- Ibid., 43
- 37- المصدر نفسه، ص ١٤١.
- Ibid., 141
- 38- المصدر نفسه، ص ١٨٢.
- Ibid., 182
- 39- المصدر نفسه، ص ٢٠٣.
- Ibid., 203
- 40- المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
- Ibid., 226
- 41- المصدر نفسه، ص ٢٩٧.
- Ibid., 297
- 42- المصدر نفسه، ص ٢١.
- Ibid., 21
- 43- المصدر نفسه، ص ٢٦ و ٢٧.
- Ibid., 26-27
- 44- المصدر نفسه، ص ٥٩.
- Ibid., 59

Ibid., 126	45 - المصدر نفسه، ص ١٢٦.
Ibid., 36	46 - المصدر نفسه، ص ٣٦.
Ibid., 80	47 - المصدر نفسه، ص ٨٠.
Ibid., 39	48 - المصدر نفسه، ص ٣٩.
Ibid., 133	49 - المصدر نفسه، ص ١٣٣.
Ibid., 112	50 - المصدر نفسه، ص ١١٢.
Ibid., 60	51 - المصدر نفسه، ص ٦٠.
Ibid., 280	52 - المصدر نفسه، ص ٢٨٠.
Ibid., 228	53 - المصدر نفسه، ص ٢٢٨.
Ibid., 293	54 - المصدر نفسه، ص ٢٩٣.
Ibid., 249	55 - المصدر نفسه، ص ٢٤٩.
Ibid., 148	56 - المصدر نفسه، ص ١٤٨.
Ibid., 211	57 - المصدر نفسه، ص ٢١١.
Ibid., 227	58 - المصدر نفسه، ص ٢٢٧.
Ibid., 262	59 - المصدر نفسه، ص ٢٦٢.
Ibid., 13	60 - المصدر نفسه، ص ١٣.
Ibid., 189	61 - المصدر نفسه، ص ١٨٩.
Ibid., 22	62 - المصدر نفسه، ص ٢٢.
Ibid., 41	63 - المصدر نفسه، ص ٤١.

Ibid., 17	64 - المصدر نفسه، ص ١٧.
Ibid., 31	65 - المصدر نفسه، ص ٣١.
Ibid., 54	66 - المصدر نفسه، ص ٥٤.
Ibid., 140	67 - المصدر نفسه، ص ١٤٠.
Ibid., 31	68 - المصدر نفسه، ص ٣١.
Ibid., 64	69 - المصدر نفسه، ص ٦٤.
Ibid., 153	70 - المصدر نفسه، ص ١٥٣.
Ibid., 65	71 - المصدر نفسه، ص ٦٥.
Ibid., 61	72 - المصدر نفسه، ص ٦١.
Ibid., 150	73 - المصدر نفسه، ص ١٥٠.
Ibid., 151	74 - المصدر نفسه، ص ١٥١.
Ibid., 52	75 - المصدر نفسه، ص ٥٢.
Ibid., 211	76 - المصدر نفسه، ص ٢١١.
Ibid., 62	77 - المصدر نفسه، ص ٦٢.
Ibid., 251	78 - المصدر نفسه، ص ٢٥١.